مَخطُوطُ ابن حَيَّان .. هل من جديد ؟

د. محمد عبد الحميد عيسى

أستاذ التاريخ الأندلسى والحضارة

ورئيس قسم التاريخ بتربية عين شمس

obeikan.com

obeikan.com

مَخطُوطُ ابن حَيّان .. هل من جَديد ؟

يجمع المؤرخون ، عربا وغير عرب ، على مكانة ابن حيان فى صناعة علم التاريخ حتى لقد اعتبروه عمدة المؤرخين المسلمين بلا منازع ، وقد وصفه المؤرخ الأسبانى إنخيل جونثاليث بالنثيا بأنه أعظم مؤرخى هذا العصر[1] . ويؤكد دوزى أن عنده صدق الرواية وجمال الأسلوب ، وجزالة اللغة ، ورنين العبارة ، ويبدى أسفا على ضياع مؤلفات ابن حيان ويرى أنها لو بقيت لألقت على تاريخ الأندلس – الغامض – ضياء باهرا ، وصورته لنا أحسن تصوير ، ولوجدنا أنها تبلغ من الامتياز مبلغا يجعلنا نستغنى بها عن غيرها من الكتب التى تتناول تاريخ هذه العصور[2] .

أما عند المؤرخين العرب ، القدامى منهم والمحدثين ، فإن ابن حيان هو شيخ الأدب ومؤرخ الأندلس ، كان لا يتعمد كذبا فيما يكتبه فى تاريخه من القصص والأخبار . وتكفى عبارات د. محمود على مكى فى تمهيده لما قام به من تحقيق لأحد أسفار المقتبس، أنه : يتفق الكثيرون من الباحثين على أن أبا مروان حيان بن خلف بن حيان يعد من أعظم مؤرخى الإسلام ، وأنه بلا شك أعظم مؤرخ أنجبته الأندلس بل والغرب

---

(١) بالثيا : تاريخ الفكر الأندلسى – ترجمة د. حسين مؤنس ، القاهرة . طبعة مكتبة الثقافة الدينية . ص٢٠٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢١١ .

كلـــه : الإسلامى والمسيحى على السواء طوال العصور الوسطى ، ولا نستثنى من هذا الحكم إلا فيلسوف التاريخ : عبد الرحمن بن خلدون[١] .

ولـــد أبو مروان حيان بن خلف بن حيان عام سبعة وسبعين وثلاثمائة الموافق للعام الســـابع والـــثمانين بعد التسعمائة من ميلاد المسيح ، فى مدينة قرطبة عاصمة الخلافة الإســـلامية فى الأندلس ، وكانت قرطبة فى ذلك القرن هى عروس الغرب وواحدة من أعظـــم مـــدن العالم حضارة وتقدما ، وساعد ذلك على نشأة ابن حيان نشأة علمية متمـــيزة فـــدرس عـــلى أبيه وعلى أحمد بن عبد العزيز بن الحباب النحوى ، وصاعد البغدادى الأديب ، وعمر بن نبيل المحدث .

كـــان والده خلف بن حسين بن حيان أحد رجال قرطبة المعروفين فى مجالى العلم والسياســـة وقـــد أورث ابن حيان حبا للعلم ، وكان له أستاذا حقيقيا – بل كان له أفضـــل وأعمق الأثر فى تكوينه الشخصى والعلمى ، ولقد أفرغ كل اهتمامه من أجل تعليمه وتربيته ، ووفر له منذ الصبا أفضل المؤدبين والمعلمين ، والذين وجدت جهودهم عـــند الصـــبى حيان تربة صالحة للغرس ، قابلة للتشكيل والتعليم ، ومساعدة على نمو المواهب ، وتقبل العلوم .

و لم يكـــن والده يبخل عليه فى شبابه بأفضل المعلمين ، وساعدته على ذلك مكانته فى بـــلاط الحاجب محمد بن أبى عامر الملقب بالمنصور ، ومن الأمثلة على ذلك أنه سمع كتاب الفصوص لأشهر علماء الأندلس على أيام المنصور أبى العلاء صاعد البغدادى ، فى منـــزل منفردًا . يقول ابن حيان : جمع أبو العلاء للمنصور بن أبى عامر كتابا سماه "الفصـــوص فى الآداب والأشعار والأخبار" ، وأمره – المنصور – بأن يسمعه الناس فى المسجد الجامع بالزاهرة فى عقب سنة خمس وثمانية وثلاثمائة (أوائل ٩٩٦م) ، واحتشد لـــه من جماعة أهل الأدب ووجوه الناس أمة . قال ابن حيان : وقرأته عليه منفردا فى داره ســـنة ثلاثمائـــة وتسع وتسعين من الهجرة التى تقابل العام التاسع من بداية الألفية الثانية من التاريخ الميلادى .

---

(١) محمود على مكى : المقتبس ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٩٧٣ . ص ٧ .

ويعلق الأستاذ الدكتور محمود على مكى على ذلك بقوله : وفى اعتقادنا أن صاعدا وهو ما هو من علو المكانة والحظوة من المنصور بن أبى عامر ، ما كان ليستقبل فى داره تلميذا من تلاميذه لكى يقرأ عليه كتابا لا يتوسع فى إنفاقه إلا المقتدرون .

ويلاحظ د. مكى أيضا أن مُعَلِّمًا آخر لابن حيان هو اللغوى النحوى أحمد ابن عبد العزيز بن الفرج المعروف بابن أبى الحباب القرطبى هو نفس الرجل الذى اختاره المنصور بن أبى عامر لتعليم ابنه وولى عهده عبد الملك المظفر بن أبى عامر ، مما يدل دلالة واضحة على أن خلف بن حسين بن حيان كان يختار لولده حيان أعظم المعلمين .

ومن دراسة تخصصات الأساتذة الذين دَرَّسُوا لابن حيان فإننا نجد أن الطابع الغالب عليها هو الثقافة الإنسانية مع الاتجاه القوى نحو العلوم الدينية والعلوم اللغوية والتى أفاد ابن حيان منها إفادة كبيرة على نحو جعلت من ابن حيان مالكا لزمام اللغة العربية بصورة أفضل مما أتيح لأى مؤرخ عربى آخر ، ونستطيع أن نتبين فى كتابات ابن حيان أنها كانت إلى جانب قيمتها التاريخية من أرقى نماذج النثر الفنى[1] .

ولقد استمعت شخصيا إلى الأستاذ الدكتور محمود إسماعيل وهو يؤكد أنه يقرأ ابن حيان مرتين ، مرة لكى يستوعبه ، ومرة لكى يستمتع بجمال أسلوبه وعظمة عبارته .

تؤكد غالبية المؤرخين عدم مغادرة ابن حيان لبلدة قرطبة سواء للتعلم أم هربا من صروف الدهر وتقلبات السياسة وخاصة فى عصر الفتنة والأحداث الجلل مع مطلع القرن الخامس الهجرى وتولى بعض الوظائف كصاحب الشرطة ، أو صاحب المدينة زمنا ولكنه أيام الفتنة من المحتمل أن يكون قد لجأ هو ووالده خلف بن حسين إلى الابتعاد عن شغل المناصب العامة ، وأنهما اعتزلا الفتنة ، بينما استغل ابن حيان ذلك فى كتابته للتاريخ حيث تظهر هذه الكتابات علاقة ابن حيان بعدد كبير من رجال العصر وهم بالنسبة له المصدر الأساسى للأخبار .

---

(١) محمود على مكى – المقتبس ، التمهيد ، ص ٢٤ .

من الأمور التى توصل إليها الباحثون فى تاريخ ابن حيان ، أن العوامل الوراثية التى انتقلت إليه من والده حسين بن خلف ، والبيئة الاجتماعية والثقافية التى أحاطت به جعلت من ابن حيان مؤرخا بالسليقة أو إن شئت الدقة مؤرخا طبيعيا تنبض كل خلجات نفسه بحب مهنة التاريخ والكتابة التاريخية ، وكان لابد وأن يدرك ابن حيان تلك الميول الجارفة التى تجذبه إلى مهنة المتاعب وأحيانا - جالبة المصائب - إلى المشتغلين بها وهى مهنة الكتابة فى التاريخ ، حيث يقول عن نفسه : وبعد ، فإنى امرؤ يسرت لطلب هذا الخبر ، واقتفاء هذا الأثر ، أدرس شاردة وأقيد نافرة ، وأبيتُ بأبوابه، وأنصُب لطلابه ، فشغلت به دهرا ، وفجرت منه نهرا ، صيرنى تربا لعدنان ، وزماما على الحدثان ، أقصى أنباءه ، وأضرب أمثاله ، وأحصى وقائعه ، وأحترز مواعظه[1] .

مؤلفات ابن حيان :

ينسب لابن حيان مؤلفات كثيرة فى مجالات الأدب والشعر والحديث، ولكن يجمع الكافة ممن أرخوا لابن حيان على أن صنعته التاريخ، وأنه كان متخصصا فى هذا المجال.

وأشهر كتابين لابن حيان: هما «المقتبس» و «المتين» ، وفى أولهما يتناول ابن حيان تاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامى لهذه البلاد فى عام ٩٢هـ/ ٧١١م ، ويستمر فيه حتى قرب وفاته تقريبا ، ولقد أشار ابن حزم إلى هذا الكتاب فى رسالته عن فضل الأندلس قائلا : ومنها كتاب التاريخ الكبير فى أخبار أهل الأندلس، تأليف أبى مروان بن حيان، نحو عشرة أسفار ، أجل كتاب ألف فى هذا المعنى .

وثانيهما كتاب « المتين » والذى لم يصلنا منه أية أجزاء متكاملة ، لكن كتاب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني ، قد احتفظ لنا بنصوص كثيرة قيمة ، أضحت موضوعا لرسالة دكتوراه قام بها الأستاذ الدكتور عبد الله جمال الدين وقدمها إلى جامعة مدريد عام ١٩٨٧م . ويتناول هذا الكتاب «كتاب المتين» عصر

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة القسم الأول ، ج٢ ، ص ٨٦ . تحقيق إحسان عباس . بيروت ١٩٧٥م . وكذلك دراسة د. مكى للمقتبس ، ص ٢٨ .

الدولة العامرية ، وجزءا من تاريخ ملوك الطوائف ، أو بصورة أدق تسجيلات المؤلف لأحداث عصره وشواهده .

قطع المقتبس التى وصلت إلينا حسب ترتيب تناولها للسنوات :

يتألف كتاب المقتبس من عشرة أسفار كبيرة ، فقدت معظمها و لم تصل إلينا من هذا الكتاب الضخم إلا بعض القطع بالإضافة إلى نصوص كثيرة وردت ضمن كتابات المؤرخين اللاحقين والذين اعتمدوا عليه اعتمادا كبيرا ، والقطع التى وصلت إلينا من المقتبس هى على النحو التالى مرتبة حسب السنين التى تناولتها :

أولا : قطعة كبيرة فى حدود مائة وثمان وثمانين ورقة تتناول التأريخ لعصر الأمير الحكم الربطى الذى حكم الأندلس خلال المدة من ١٨٠هـ إلى ٢٠٦هـ ، ٧٩٧/ ٨٢١م وشطرا كبيرا من إمارة عبد الرحمن الأوسط وبها الوقائع والأحداث التى وقعت اعتبارا من بدايات عام مائة وثمانين من الهجرة إلى عام مائتين واثنتان وثلاثين أى قبل نهاية عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط بست سنوات ، وهذه القطعة هى محور حديثنا الأساسى فى هذه السطور .

ثانيا : قطعة ثانية تستكمل القطعة السابقة حيث تبدأ باستكمال سنوات الأمير عبد الرحمن الأوسط ، ثم تواصل الحديث عن الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط وتشتمل على خمس وتسعين ورقة قام بتحقيقها والتعليق عليها ونشرها الأستاذ الدكتور محمود على مكى ، وقامت دار الكتاب العربى، ببيروت بطباعتها عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

ثالثا : قطعة ثالثة تتناول عصر الأمير عبد الله بن محمد ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م وتبلغ حوالى مائة وسبع ورقات ، وكانت موضعًا لأكثر من دراسة كان أولها وأهمها التى نشرها الراهب الأسبانى ميلتشور أنطونيا ، وطبعت بباريس ١٩٣٧م .

رابعا : أما أكبر القطع التى وصلتنا من مقتبس ابن حيان فهى التى تشكل السفر الخامس من هذا الكتاب ، وكانت محفوظة بالخزانة الملكية بالرباط وهى تتحدث عن السنوات الثلاثين الأولى من حكم الأمير عبد الرحمن بن محمد المعروف بالناصر ، وهو أول من تسمى بالخلافة فى الأندلس ، ويتناول هذا المخطوط الأعوام من سنة ٩١٢م

إلى ٩٤٢م ، وقد قام المعهد الأسباني العربي للثقافة ، والقائم في مدريد في تلك الأعوام بنشر هذا السفر الكبير بتحقيق الأساتذة بدور شالميتا ، وفيدريكو كورنيطي ، ومحمود صبح ، ثم قام نفس المعهد بنشر الترجمة الأسبانية لهذا السفر في عام ١٩٨١م حيث تولاها كل من الدكتور فيدريكو كورينيتي والدكتورة ماريا خيوسي فيغيرا بمدريد .

خامسا : وجد جزء من السفر السادس يتناول سنوات خمس فقط من عصر الحكم المستنصر بالله ، والذي خلف والده الناصر على حكم الأندلس خلال المدة من ٣٥٠- ٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٧م . والقطعة تتناول الأعوام من ٣٦٠ إلى ٣٦٤هـ قام الأستاذ الدكتور عبد الرحمن علي الحجي بتحقيقها ونشرها ببيروت سنة ١٩٦٥م ، كما نشرها بالإسبانية عميد المستشرقين الأسبان إميليو جارسيا جوميت في مدريد عام ١٩٦٧م .

نركز الحديث الآن عن القطعة الأولى من المقتبس والتي تعرضت لكثير من الألغاز، وأثارت الكثير من الجدل في أوساط الدارسين للتاريخ والحضارة في الأندلس . ولنترك أ. د. محمود علي مكي عميد الدارسين في هذا المجال يحدثنا عنها عند طباعته للجزء التالي لها في بيروت عام ١٩٧٣م ويتحدث عنها بقوله : هي قطعة مخطوطة كبيرة حصل عليها المستشرق الفرنسي الأستاذ ليفي بروفنسال من الخزانة العامة لجامع القرويين في فاس بالمغرب الأقصى . وهي تضم كل إمارة الحكم من هشام الربضي (١٨٠- ٢٠٦هـ) والشطر الأعظم من إمارة ابنه عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦- ٢٣٢ هـ) وكانت تقع في مائة وثمان وثمانين ورقة . وقد انتفع ليفي بروفنسال كثيرا من هذه القطعة في عديد من أبحاثه ولا سيما كتابه الجامع عن «تاريخ إسبانيا الإسلامية» ، الذي نشره في باريس بين سنتي ١٩٥٠ و١٩٥٥ في ثلاثة أجزاء .

ولم يترك لنا المستشرق الفرنسي وصفا مفصلا لهذه القطعة ، ولكننا نأخذ من بعض إشاراته إليها في تاريخه أنه كان قد حققها تحقيقا كاملا ، وأعدها للنشر منذ سنة ١٩٣٨ ، وأنه أرسلها إلى إحدى الجامعات المصرية لكي تنشر هناك ولكن الجامعة المذكورة لم تعتن بإخراجها على الرغم من مضي اثني عشر عاما على الفراغ منها وإرسالها . ويعني ليفي بروفنسال بذلك جامعة الإسكندرية . فالمعروف أنه كان قد

فاوض الأستاذ الدكتور عبد الحميد العبادى – رحمة الله عليه – فى أن تقوم الجامعة بنشر المقتبس ، وأنه بعث إليه بمصورة للمخطوط ، ولكن الذى نعرفه هو أن ليفى بروفنسال لم يكن قد أتم تحقيق المخطوط ، وإلا فإنه لم يكن يعدم الوسائل لنشر مثل هذا الكتاب الجليل فى أى مكان آخر بدلا من هذا الانتظار الطويل . ويبدو أن ليفى كان يريد أن يشرك معه الأستاذ العبادى أو غيره من المشتغلين بالأندلسيات فى تحقيق الكتاب ، ولكن ذلك لم يتيسر ، واسترد المستشرق الفرنسى مصورة المخطوطة ، وظلت فى حوزته حتى وفاته سنة ١٩٥٧ .

ومنذ هذا الوقت لم يعرف أحد لهذه القطعة مستقرا ، وقد اجتهدنا فى البحث عنها لدى من يمكن أن تكون لديه ، فسألنا عنها أرملة ليفى بروفنسال وأصدقاءه من المستشرقين فلم يهتد أحد إلى مآلها . ولو انتهى أمرها إلى الضياع لكان ذلك خسارة كبيرة لتراث الأندلس وتاريخها . على أننا لم نفقد الأمل بعد فى إمكان العثور على هذه القطعة الجليلة ، أو الاطمئنان إلى أنها ستقع فى أيد أمينة تحرص على أن تنشر بما هى جديرة به من عناية أو تعرف على الأقل مدى قيمتها ونفاستها[1] .

كتب الدكتور مكى ذلك الكلام قبل عام ١٩٧٣م :

ويقول الأستاذ محمد عبد الله عنان – رحمة الله عليه – أنه انتفع بوجه خاص بثلاث قطع مخطوطة نادرة من مؤلف ابن حيان القيم فى تاريخ الأندلس وهو كتاب « المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس » أو « المقتبس فى أخبار أهل الأندلس » .

القطعة الأولى وتشمل حوادث سنى ١٨٠– ٢٣٢هـ ، أعنى عصرى الحكم ابن هشام وعبد الرحمن بن الحكم ، وتقع فى نحو مائة صفحة من ٨٨ – ١٨٩ من القطع الكبير ، وهى عبارة عن بداية السفر الثانى من كتاب المقتبس « ويرجع الفضل فى انتفاعى بهذا القسم إلى صديقى العلامة المرحوم الأستاذ ليفى بروفنسال ، وكان قد

---

(١) ملكى : المصدر السابق ، ص ١٤٧ – ١٤٨ .

عثر عليه فى مكتبة جامع القرويين بفاس . وقد اختفى هذا القسم ولا نعرف مكان وجوده »(١) .

كتب الأستاذ عنان هذا الكلام مع مطلع عام ١٩٦٩م عند إصداره للكتاب : « دولة الإسلام فى الأندلس » .

وفى شهر مارس من عام ١٩٧٩ نشر الأستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد الجزء الثانى من كتابه « تاريخ المغرب العربى » ، والذى حمل مفاجأة سارة إلى الجميع عبر عنها بالكلمات التالية :

وهنا أود أن أضيف هامشا إلى موضوع المصادر . ففى الفترة التى كنا نقدم فيها الكتاب إلى المطبعة ، وفقت الدكتورة نبيلة حسن - مدرسة التاريخ الإسلامى بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية - إلى كشف هام فى مصادر تاريخ الأندلس ، فلقد تعرفت على الجزء من كتاب المقتبس لابن حيان مما يعالج تاريخ الأندلس من سنة ١٨٠هـ إلى سنة ٢٣٢هـ ، وذلك من المخطوطات المصورة بمكتبة بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية .

ولقد أطلعتنا على المخطوط الثمين ، وتزودنا منه ببعض النصوص الخاصة بالعلاقة بين دول المغرب « العدوة » فى تلك الفترة وبين الأندلس ، وكنا قد اكتفينا بالإشارة إلى بعضها مما يوجد بالفرنسية فى كتاب الأستاذ ليفى بروفنسال فى تاريخ إسبانيا الإسلامية .

ومع تمنئتى للدكتورة نبيلة حسن بكشفها الهام أرجو أن تتم منه الفائدة ، فيتيسر لها إخراج المخطوطة الثمينة محققة ومدروسة فى وقت قريب(٢) .

وكانت المفاجأة السارة والكبيرة والمحيرة فى ذات الوقت ، وكان التساؤل الكبير من أين حصلت د. نبيلة حسن على هذا المخطوط الثمين ؟ وهل فعلا استرد ليفى

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس - مكتبة الخانجى - الطبعة الثالثة ، ١٩٨٨ ، ص ٦-٧ ، من المقدمة .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد - تاريخ المغرب العربى ، جـ٢ ، المقدمة ، معارف الإسكندرية ، ١٩٧٨ .

بروفنسال مصورة المخطوطة كما قال د. محمود على مكى أم أن الدكتور عبد الحميد العبادى قد احتفظ بصورة منها قبل أن يعيدها إلى فرنسا ؟ أسئلة لم يعرف أحد الإجابة عنها حتى الآن ، ولا أعتقد أنها ستنجلى لأن الأبطال الذين يعرفون الإجابة قد انتقلوا إلى رحمة الله منذ عشرات السنين .

واتجهت الأنظار جميعها . الدارسون المحدثون والقدامى إلى الإسكندرية أملا فى رؤية ذلك المصدر النفيس والاستفادة منه ، وطمع الكثيرون فى القيام بتحقيقه أو على الأقل المشاركة فى هذا التحقيق ، وانهالت العروض على الدكتورة نبيلة حسن ، ولكن لم يستطع أحد أن يزعم – سوى د. سعد زغلول – أنه قد رأى المخطوط بعينيه أو اطلع على محتوياته .

ظل الحال على هذا الوضع سنوات طوالاً ، لم تقم الدكتورة نبيلة بتحقيق المخطوط ولا أنها سمحت لأى من المتخصصين بالعمل فيه ، كما كثرت الشائعات والأقاويل حتى قيل بأنه قد وضع فى خزانة بأحد البنوك خوفا عليه .

وإن كانت قد قامت فى عام ١٩٩٤م بكتابة دراسة مستفيضة عن المخطوط فى حوالى ست وسبعين صفحة بينت فيها أهم ما جاء به من معلومات[١] .

يقول أ.د. حواكين فالفى برميجو Joaquin Vallve Bermejo إنه فى عام ١٩٩٥ قد كتب فى حولية الأكاديمية الملكية للتاريخ[٢] مشيرا إلى وجود أعمال هامة للمستشرق الكبير أميلوجارثيا جوميث Emilio Garice Gomes لم تزل مطبوعة وأنها لم تنشر ، وأنه قد وجه نداء إلى الأكاديمية الملكية للتاريخ فى مدريد لكى تصل إلى اتفاق مع السيدة زوجة الدكتور إميليو جارثيا جومث . واسمها الكونيسية ماريا لويزا فوريرتث Condosa: Maria Luisa Fuertes . على نشر هذه الأعمال التى تركها زوجها الراحل ويواصل الدكتور فالفى حديثه فى المقدمة التى كتبها لما أطلق عليه اسم المقتبس الثانى – ويقصد بذلك القطعة التى نتحدث عنها قائلا : كم كانت الشكوك

---

(١) حواكين فالفى : المقدمة الإسبانية للمقتبس الثانى ، ص ١١ .

(٢) العدد ٩٢ لسنة ١٩٩٥ – الصفحات من ١٨٥ – ٢٠٢ .

تراودنى حول امتلاك أميليو جارثيا جوميث لمخطوطة المقتبس الثانى لابن حيان أو على الأقل فإن لديه صورة منها - ولم يكن ما يدور بخلدى ظنونا فحسب لأن كثيرا مما كنت أسأل عنه الفقيد الراحل من أحداث تاريخية محدودة أو مواقع جغرافية معينة ، قد وجدت بعد ذلك بخط إميليو حارثيا جوميث مما يعنى أن الرجل كان يعمل جديا وفى صمت على نشر هذا المخطوط وترجمته إلى الإسبانية ، وأن الموت كان هو الحائل الوحيد الذى منعه من استكمال هذا المخطوط ذى الأهمية الفائقة .

فى السابع من أكتوبر عام ١٩٩٨ ، أودعت مكتبة المجمع الملكى للتاريخ القسم الأول من الوصية الكريمة بإهداء هذه المكتبة كل ما كان فى بيت الراحل جارثيا جوميث - وفى هذه الدفعة الأولى وجدت عددا من الصفحات نسخ عليها أجزاء من المقتبس كما وجدت صفحات أخرى بها نقول وترجمة إلى الإسبانية من ذات المخطوط .

ويواصل الدكتور فالفى حديثه عن زيارة قام بها إلى منزل جارثيا جوميث وموافقة الزوجة على إهداء مكتبة زوجها كاملة إلى المجمع الملكى للتاريخ ، وأنه قد تولى الإشراف على ذلك إلى أن يصل إلى القول :

منذ اللحظات الأولى ، وعند إلقائى نظرة سريعة على محتويات المكتبة لفت نظرى وجود رزمة ضخمة مربوطة كتب عليها مخطوط المقتبس وكانت هذه الرزمة متضمنة المخطوط الأصلى العربى ، ومحاولات إعادة كتابتها بالخط العربى فى معظمها بخط إميليو جارثيا جوميث وبعضها بخط ليفى بروفنسال ، علاوة على عدد من التعليقات[1] .

ويتحدث بعد ذلك عن قصة عثور العالم الفرنسى على المخطوط والاعتماد عليه فى كتابه عن تاريخ إسبانيا . والقصة الطويلة التى انتهت بضياع المخطوط ، ثم ظهوره فى الإسكندرية وعدم تحقيقه حتى عام ١٩٩٩م ثم يقول :

لهذه الأسباب جميعها وفى الثانى عشر من شهر مارس ١٩٩٩م قدمت تقريرا إلى المجمع الملكى للتاريخ فى إسبانيا أزف إليه بشرى هذا الاكتشاف العظيم بين أوراق إميليو جارثيا جوميث ، وأقترح على المجمع انطلاقا من الأهمية العظمى وغير العادية

---

(١) العدد ٩٢ لسنة ١٩٩٥ - ص ١٠ .

لهذا المخطوط أن تقوم بطبعه طباعة فاكسيملى ، أى أن يتم تصويره ونشره على ما هو عليـه . ولقد وافق أعضاء المجلس بالإجماع على ذلك ، ويتم تكليف المسئولين بالمجمع بالنهوض بهذه المهمة ، وقد تم المخطوط على هذا النحو فى مدريد عام ١٩٩٩ وبدأت نسـخة تتسرب إلى القاهرة ويتم تصويرها ، وهى الآن بين أيدى الجميع من الباحثين والدارسين ، ويعكف البعض على تحقيقها تحقيقا علميا ونشرها مطبوعة أسوة بالأجزاء الأخرى من مقتبس ابن حيان .

يتضـح لنا من ذلك العرض السريع لقصة هذا الجزء من مقتبس ابن حيان الإجماع عـلى أهميته الكبيرة والتى عبر عنها كل المؤرخين العرب والأسبان والتى وصفت عند بعضـهم بـأن لهـا أهمـية فائقة وفوق العادة ، وهى بالفعل كذلك فيما جاء بها من تفصيلات دقيقة لم تغب عن فطنة ذلك المؤرخ المتمـيز ابن حيان ومن ذلك مثلا : ما جـاء فى ص ١٧٧ مـن حديث عن محنة هارون بن حبيب وهو أخ عالم الأندلس فى عصـره عبد الملك بن حبيب ، وكيف شفع له هذا عند الأمير عبد الرحمن الأوسط .

وقصة خبر صلب ابن أخت بحيب فى ص ١٧٥ .

وقصة المنجم عبد الواحد بن إسحاق وإقصائه ، ص ١٧٠ .

وتحديد أرزاق معلمى الولاد الأمير عبد الرحمن .

وغير ذلك مما لا يحصيه عدد من الموضوعات ذات الأهمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

لكـن لـيس معنى ذلك أن ظهور هذا الجزء من المقتبس يمكن أن يغير من الصورة العامة التى كتب بها التاريخ الأندلسى فى عصرى الأميرين: الحكم الربضى وعبد الرحمن الأوسط .

لقد راجعت عصر هذين الأميرين فى كتابات الأستاذ محمد عبد الله عنان والأستاذ الدكـتور السيد عبد العزيز سالم وغيرهما من المؤرخين الأندلسيين ، وقارنتهما بما جاء فى المخطـوط فـلم أجد فرقًا كبيرًا اللهم إلا فى التفاصيل بالزيادة أو النقص ، مما يدل عـلى وجود هذه المعلومات فى عدد من المصادر التاريخية الأخرى ، أو مما تم الاستفادة منه فى نفس المخطوط .

ولعـــل الأسباب التى جعلت الكثيرين لا ينبهرون بنتيجة ظهور الجزء من المخطوط يمكن إجمالها فيما يلى :

أولا : أن المخطـــوط كان فى حوزة المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال وأنه اعتمد علـــيه كـــثيرا فى تأليف كتابه فى تاريخ إسبانيا باللغة الفرنسية ، وقد قام إميليو جارثيا جوميث بترجمة الكتاب إلى الإسبانية ، ومن هاتين اللغتين انتقلت جميع هذه المعلومات إلى اللغـــة العربية ، هذا وقد قام المجلس الأعلى للثقافة فى مصر بترجمة هذا الكتاب من اللغة الإسبانية إلى اللغة العربية ونشره فى عام ٢٠٠٠م .

ومـــن الواضـــح أن ليفى بروفنسال كان عالما لم يحبس علمه على نفسه كما فعل الـــبعض مـــن الـــناس ، وإنما أتاح لأصدقائه وللعلماء فرصة الاطلاع على المخطوط ، وأرســـل نســـخة منه إلى الدكتور عبد الحميد العبادى بالإسكندرية ، كما أطلع عليه الأســـتاذ محمـــد عـــبد الله عنان والذى استفاد كثيرا جدا من هذا المخطوط ونقل منه نصوصـــا وأبياتا شعرية ضمنها الجزء الأول من كتابه « دولة الإسلام فى الأندلس » ، وذلك منذ طبعته الرابعة فى عام ١٩٦٩م .

وطبـــيعى أن ليفى بروفنسال قد اطلع عليه بعرض الدارسين من أبناء المغرب بحكم صـــلته المباشـــرة بهذه البلاد خلال الاحتلال الفرنسى هناك ، فإذا أضفنا إلى ذلك قيام الدكـــتورة نبـــيلة حسن بتقديم دراسة مستفيضة عن أهمية المخطوط ومحتواه أمكننا أن نفهم أسباب عدم غربة النص أو حداثته بالنسبة للباحثين .

ومـــع ذلك ، تبقى لهذا المخطوط أهمية فائقة باعتباره جزءًا أساسيًّا فى سلسلة أهم موســـــوعة ألفت فى تاريخ الأندلس ، وهى موســـوعة : المقتبس لابن حيـــان والتى لو استكملت حلقاتها لكانت من أعظم المصادر فى التاريخ الأندلسى خاصة والإسلامى عامة .

* * *